القصة السادسة عشرة ـ ولادة

خنساء مكانسي

لم أعتد الغربة ولم تعتدني ....

خرجت من مدينتي أحمل دموعاً باتت تحر ق كل شيء بداخلي

إلا عينيّ اللتين لم تذرفا دمعاً خوفاً على أربع بنيات لم يزلن صغيرات. غادرت الوطن ولم يغادرني .... وركبنا الغيم لنصل إلى مستقرّنا الجديد .

وبدأت رحلتي الحقيقية .

سعي وراء لقمة عيش ... شوق للأهل والوطن .

وباتت الغربة المقيتة تعتصرني شيئا فشيئا .

حاولت أن أقاوم تلك الآلة الخبيثة التي تلهث لتأكل كل جميل كنت أحتفظ به .

تعتصر ...ثم تعتصر... وتعتصر .

غربة موجعة أخذت من حياتي في ذلك الوقت ستة أعوام ... حاولت التقرب منها. حاولت وباءت محاولاتي بالفشل بل على العكس كانت بعد كلّ محاولة تكشر لي عن أنيابها وتستشرس أكثر من ذي قبل .

لم أعد أقاوم، بتُّ أمرر الأيام تباعاً علّها تمضي فقط بسلام .

إلى أن أتى ذلك اليوم.

ودعوني أطلق عليه:

(اليوم الموعود) .

11 /1 /2018

خرجت إلى عملي كالعادة صباحاً و انتهى يومي كأي يـوم مـذ وطـأت قـدماي تلـك البقعة.

وعدت أدراجي ليلاً قاصدة منزلي كما تعـودت ... أخـذت طريـق الـدكان لأجلـب بعض المتطلبات اللازمة للبيت، ثم وصلت المنـزل جلسـت قلـيلاً تبادلـت أطـراف حديث مقتضب مع زوجي وبناتي ثم اتجهت الى الحمام لأستحم، ربما أريـح جسـدي المتعب .

أخذت حماماً سريعاً ثم عدت وجلست على أريكتي في زاويتي المعتادة أحتسي فنجـان قهوتي وأدخن سجائري، فهما كانا رفيقي غربتي المقيتة .

كنت دائما على هذا المنوال وحين أحسست بالنوم قد بدأ يتسلل لجفنيّ المتعبين قـررت أن أخلد للنوم ... واستسلمت للنوم مدة ساعة واحدة واستيقظت على ألم يقطع نياط قلبي ويجتث حشاشتي

وأخذت أصرخ ألما وكانت الساعة تقارب الثانية والنصف ليلاً .

باتت الدقائق سريعة ومؤلمة إلى أن وصلت سيارة الإسـعاف لتقلنـي وزوجـي الـذي رافقني للمشفى وصلت المشـفى وأنـا أصرخ ألمـاً دخلـت قسـم الطـوارئ في ذلـك المشفى المقيت الصديء ذي الأسرّة العفنة الملطخـة بالـدم القـديم، والخاليـة مـن أي

غطاء إلا من ذلك الجلد الأسود المقزز ... ولأول مرة لم ألق بالاً لكل تلك القاذورات من شدة ألمي.

وبمجرد الفحص أمر الطبيب فورا نقلي إلى قسم العناية المركزة بسبب جلطة قلبية . أدخلت العناية المركزة وأجريت لي كل التدابير اللازمة ووضعت تحت الأجهزة .

ثم مرت ساعة وكان قد بدأ آذان الفجر عاودني ألم يفتت الصخر بدأت بالصراخ وزوجي يهدئ من روعي ويطمئنني علّني أهدأ .... لم أستطع بل بدأت بالصراخ بشدة وبينما زوجي يطلب مني أن انطق الشهادة مع آذان الفجر ... وإذ بالأجهزة تتوقف ورسم القلب بات مستويا، وبدأت بالإنذار فقط وصدر من صدري صوت رهيب اجتمع عليه كل من كان في القسم صوت انفجار و انتفخ صدري وعلا وكأنه بالون

حينها أصبت بجلطة قلبية جديدة وجلطة رئوية معاً .

اجتمع الأطباء وبدؤوا بمحاولة تشغيل القلب الذي لم يتجاوب معهم استعانوا بالصدمات الكهربائية .... وحقن (الادرينالين)

وظلوا هكذا خمس وأربعين دقيقة، ثم وبعد عجزهم أعلنوا وفاتي

واستقدموا عاملتي تغسيل الموتى اللتين توجهتا إلى زوجي لمواساته واستئذانه بأخذي للغسل .

وفي تلك الأثناء وبعد إلحاح زوجي الشديد ونحيبه قرّر أحد الأطباء معاودة التجربة ليبرهن لزوجي أنني توفيت .

فعاود صعقي بالكهرباء وغرز الإبرة التاسعة من الأدرينالين بصدري

وما إن أتت الصعقة الكهربائية حتى بدأت الأجهزة بالعمل وبدأ رسم القلب يأخد شكله الطبيعي وعاد جسدي إلى الحياة .

وحينها أخضعت لعملية في القلب وعدت إلى الحياة وها أنا الآن وعمري السابق ست وأربعون عاما، وعمري الحالي سنة وثلاثة شهور .

تجربة صعبة بكل المقاييس

لكن كل ما مرّ معي كان مذهلاً من لحظة موتي تلك الساعة إلى أن عدت مجدداً .

ربما تأخذنا الأيام ... وننساق وراء همومنا وأعبائنا .. ربما ننسى في ذلك الزخم تفاصيل كثيرة ... لكن حين نصل إلى عوالم غيبية ونرى مالم يراه بشر- ثم نعاود العيش ... نتعلم الكثير ... تعلمت أن أخلق من تلك الحالة فرحاً وبدل من أن أقول إنّ ذلك العام كان شؤماً ... بتّ أقول إنّ ذلك العام كان جميلاً لأنني ولدت فيه من جديد ...ولأن الله حباني بتلك التجربة لأرى ما لا يستطيع بشر رؤيته ... ثم أعاود العيش من جديد بين عائلتي وبناتي ....ولو بقلب ناقص .

ولنا #حياة بداخلنا تختلف تماما عن #الحياة التي يرانا فيها الآخرون . »

*****